

# ايلاف حارسة السبخة

تأليف  
أطفال حي السيدة المنوبية وحي هلال

رسوم وتصميم  
أحلام جمال

تأطير التأليف  
منتصر العميري

تم تطوير هذه القصة في إطار المبادرة الإقليمية "قصص بالألوان: الأطفال يروون قصصا عن التغير المناخي" ضمن أنشطة مجموعة الأمن الإنساني في إطار برنامج آفاق مدنية الإقليمي بالتعاون مع جمعية رائدات تونسيات للمساواة و فوج السيدة المنوبية للكشافة التونسية والمعهد العربي لحقوق الانسان.





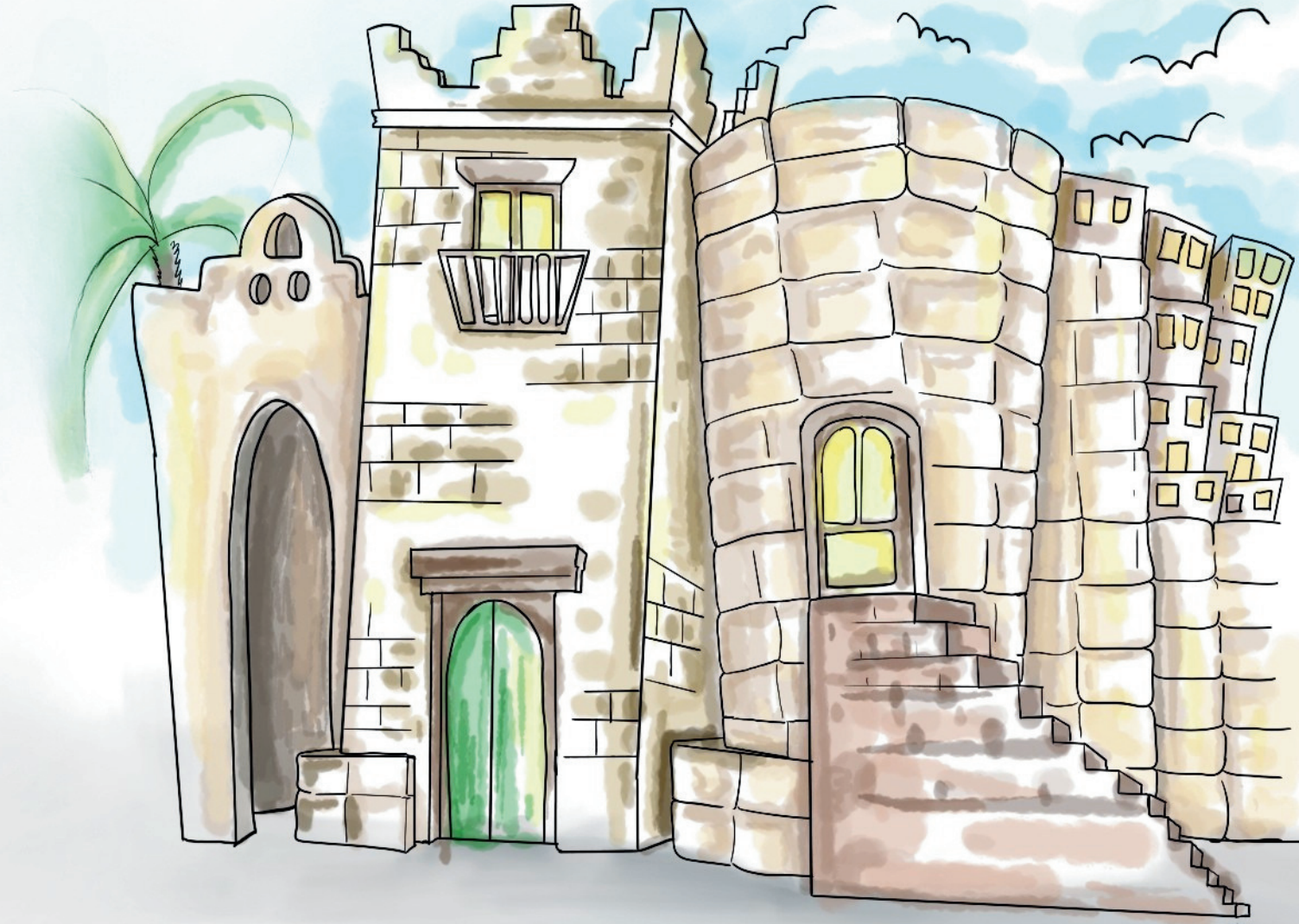
نود أن نسلط الضوء على رواة القصص الشجعان والمبدعين من الأطفال والمراهقين الذين شاركوا في نسج هذه القصة الغنية بالمعاني والدروس حول التغير المناخي وحماية سبحة السيجومي والعدالة البيئية. لقد ألهمونا بخيالهم، وذكرنا بأن صوت الطفل قادر على إحداث الفرق:

- مرام قرامي
- تسنيم الطيب
- نور الطيب
- شيماء الطيب
- صابرين العمدوني
- محمد العمدوني
- مريم الضاوي
- حسن الحديجي
- ابي بن ساسي
- يحيى بن ساسي
- مايا الزيدي
- محمد سلمان الزيدي
- محمد ريان العوني
- اسكندر عجاله
- ابراهيم ماجري
- آزر ماجري

وتحية خاصة إلى السيد منتصر العميري، الحكواتي، الذي تميّز بتيسير ورشات الكتابة بطريقة تفاعلية، حوّل من خلالها أفكار الأطفال والمراهقين من حي السيدة المنوبية وحي هلال إلى قصة نابضة بالحياة والخيال. كما نشكر الناشطات البيئيات الأربعة اللاتي شاركن في تشكيل معالم هذه القصة من خلال مساهماتهن القيّمة في الورشات والنقاشات: السيدة ايمان العبيدي والسيدة نبيلة خليفي والسيدة سميرة العباسي والسيدة سيرين غريسي. لقد أضفن من خبرتهن وشغفهن ما جعل الرسائل البيئية في القصة أكثر عمقاً وواقعية. ولا يفوتنا أن نتوجه بجزيل الشكر إلى السيدة عبير الفيّالي، التي قامت بمراجعة النسخة العربية من القصة بدقة واحتراف، مما ساهم في إخراجها بشكل لغوي راقٍ ومتقن. إن سرد القصص ليس مجرد فن، بل أداة لتمكين المجتمعات، مواجهة التحديات، وتخيل مستقبل مختلف أفضل للجميع.



عائلة ايلاف عائلة بسيطة أمورهم المادية على قدها  
لكن ابو كان يخدم بنهارو والام تعاون فيه مهامش  
مستسلمين لظروفهم الاجتماعية القاسية. و ايلاف  
كانت نقطة الضوء في حياتهم يحبوا يشوفوها تكبر  
وتوصل حاجة كبيرة.



كان يامكان في قديم الزمان وفي سالف العصر والآوان في زمان  
قريب من ها الزمان، كانوا يحكيوا على بنية اسمها ايلاف. بنية مزيانة  
زينها زين القمر ليلة 14، شعرها أكحل طويل هابط ظفرتين على  
أكتافها، عينيها عسلية تبرق، وضحتها كيف الشمس الي تترك كل  
صباح. البنية ايلاف تسكن بين حي السيدة المنوبية وحي هلال،  
قريب من سبخة السيجمي. ايلاف تسكن مع بوها وأمها وخوها  
اللي أصغر منها. ايلاف بنية صغيرة عمرها عشرة سنين وتقرأ في  
المدرسة، في السنة الخامسة. تمشي كل النهار للمكتب، محافظة  
على دروسها، لاهية بلبستها وتحب قرايتها ومغرومة بها.  
كانت ايلاف بنية عندها غرام الاستكشاف وكانت تسأل برشا أسئلة  
ساعات لين بوها وأمها ما يلقاوش ما يجاوبوها ويحسوها سابقة عمرها.



أيا يا سيدي، إيلاف كانت بارزة في القسم.  
كل سؤال تسألوا المعلمة إلا وإيلاف عندها  
الإجابة متاعو. نهار من النهارات المعلمة متاع  
الأيفاظ العلمي طلبت أنه التلاميذ يقسموا  
رواحهم مجموعات ويعملوا بحث على  
مميزات وإشكاليات سبخة السيجمي،



السبخة الي كل يوم يتعداو عليها ويشفوها الصغار  
والكبار الي يعيشو في السيدة وحي هلال. لكن  
مع الأسف، إيلاف ما كانش عندها صديق أو صديقة  
تخدم معاه البحث. فقررت وعزمت أنها تخدم وحدها  
وتثبت انها تقدر تخدم وحدها. الصغيرات الكل خرجوا  
من المكتب وإيلاف شدت ثنية المرواح.



وهي في الطريق، خمت قالت  
"علاش انا ما نخدمش بحث ميداني  
ونتميز على أصدقائي اللي يجيوا  
المعلومات الكل من الانترنت  
ومايتعلمو منها شي. بحثي بش  
يكون ميداني ملموس نكتشف بيه  
السبحة والي فيها".

عاد قلنا دار إيلاف بين السيدة وحي  
هلال وقريبة برشا من السبحة. في  
عوض ما تروح إيلاف لدارهم مشات  
طول للسبحة. حطت كرتابلتها على  
الشط ومنها بدأت دور في الأطراف  
متع السبحة وفكرت بينها وبين روحها  
"اش خص كان نجم ندخل ونكتشف  
الأسرار الي تحت الماء متع السبحة".



هي هكاكة وفجأة بدأت إيلاف تغرق ويجبد فيها  
الطين. الماء غم إيلاف بكلها وإيلاف دخلت فيها غولة  
وقالت بش نتخنق ونموت.



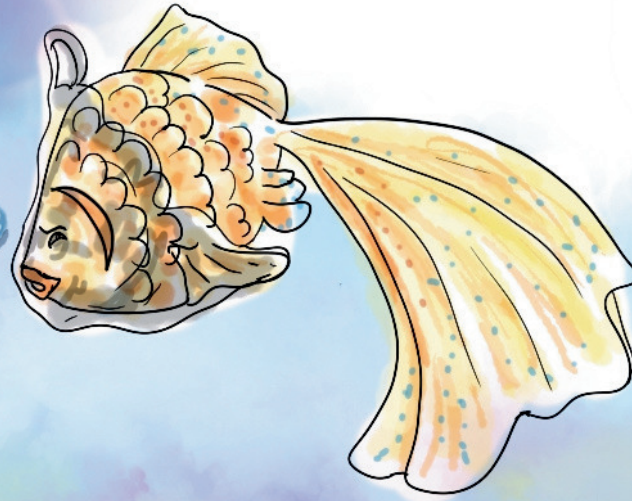
لكن إيلاف قلنا الي هي طفلة عندها  
حب الاطلاع والاكتشاف، بالرغم الورطة  
الي تحطت فيها بدأت تدور وتعود تلوج  
على مخرج والا شكون يعاونها والا زعما  
فما حاجة بش تكتشفها...



هي هكاكا وبدأت تحس في روحها تنجم تتنفس.  
تلفتت تلقى عندها زعانف وخياشيم وولاي عندها  
ذيل كيما ذيل الحوتة. وقتها حسست إيلاف بروحها  
ولات تتحول من إنسان إلى حورية! بدأت تعيط  
وخافت لا تبقى هكاكا طول عمرها وفي لحظة  
جات عايلتها قدام عينيها كيفاش باش تتحرم منهم  
ومن ضحكتهم وكيفاش باش يتفجعو كيف يفقدوها.



هي هكاكا وتشوف في  
حوتة مزيانة وصغيرة اما مخنوقة  
بشكارة كحلة وتكح وخائفة.  
هي قربت منها بش تعاونها  
والحوتة هربت خاشرها خافت  
من إيلاف الحورية. هاك الحوتة  
تجري وإيلاف تشد في  
جرتها. هي تجري وإيلاف  
في جرتها لين هاك الحوتة  
وصلت قدام دروج طويل ومقابلو  
ثلاثة ببيان كبار.



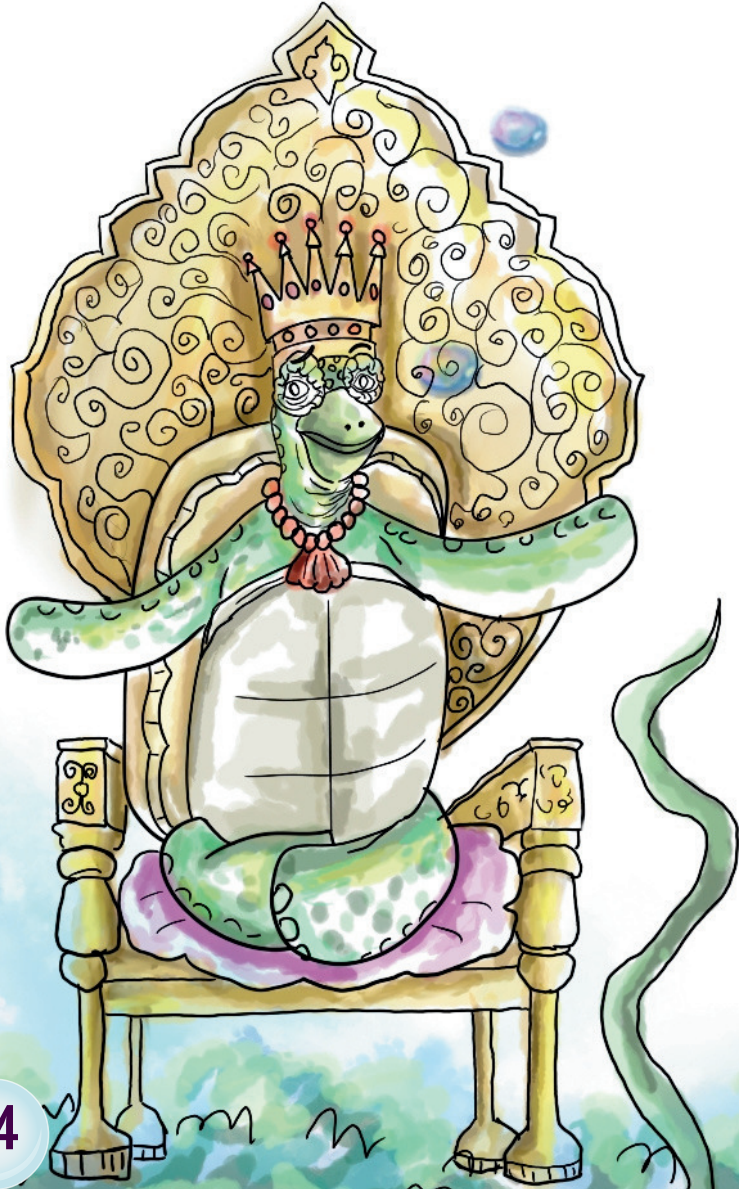


دخلت الحوتة من الباب الكبير. هنا إيلاف وقفت مبهورة  
بالإي قاعدة تشوف فيه: دروج طويل وفي آخره ثلاثة  
بيان كبار بجنبهم عرص كبار منحوتين بالحجر. وكى  
حلت الحوتة الباب، شافت إيلاف ساحة كبيرة وفيها برشا  
كائنات غريبة قاعدين يحكيو مع بعضهم.  
مع الدهشة هذه، إيلاف مانساتش الحوتة وفكرت "لازماني  
نتبعها ونعاونها ماكنش باش تموت بالشكارة البلاستيك  
اللي كلاتها". دخلت إيلاف من هاك الباب وهي  
تفرس على الحوتة، تلقى ملك عملاق وعظيم، العبادة  
متاعو من الطحالب تعكس الضوء بألوان خضراء وزرقاء  
والتاج متاعو تحفة فنية مرصعة بالأصداف اللي تلمع  
كالنجوم، يدو الضخمة مغطية بدرع مصنوع من قشور  
الأسماك ودايرين بيه حراسه اللي هم النحام الوردي  
وبحذاه مجموعة من البط ذوي المنقار الأزرق وأبو ملعقة  
وطائر أبو قردان والبلشون الرمادي وحيوانات أخرى.  
هاك الحوتة مشات بحذا أمها وبوها اللي كانوا خايفين  
عليها وهاك الملك أمر الحراس بش يشدو إيلاف.





قال الملك بصوت قوي "كيفاش كنت باش  
تعاونها وانت شكونك واش جابك ليها السبخة  
متاعنا" قتلوا ايلاف "أنا بنية، كنت بشر ولكن  
كي حبيت نكتشف السبخة وشنو فيها من  
الداخل غرقت، وكى غرقت، وليت حورية.  
ريت الحوتة المسكينة مخنوقة بشكارة بلاستيك  
حبيت نعاونها. لكن هي هربت منى وخافت.  
وإذا كان مش مصدقني يا سيدي الملك  
خرجني نوريك الدليل متع برائتي."



بداو يبحثو معها وحطوها في السجن اللي ماتوصلوش  
اشعة الشمس. سجن مظلم وضيق ومصنوع من الأصداف  
البحرية العملاقة اللي لاصقة بالنباتات والاعشاب اللي  
موجودة في أعماق السبخة. كانت ايلاف خائفة  
وحزينة. قالت لهم "أنا بريئة وما كانش عندي نية أني  
نضر الحوتة الصغيرة. بالعكس، أنا كنت نحب نعاونها".





فرحت إيلاف وحست بالفخر  
وقتلوا "ان شاء الله نكون قد الأمانة".  
جبد الملك رسالة حروفها من طين  
السبخة وقال لايلاف "صحيح! انت  
عندك أمانة وهذه الوصية هي  
الأمانة الي نحبوك توصلها لأهل  
الأرض". اكا ايلاف ما نجمتش تشد  
روحها وتملكها حب الاطلاع فحلت  
الوصية وبدأت تقرا فيها.



عمل هكا وكاينو بدا يقتنع بكلامها. وأمر  
الحراس باش يخرجوا إيلاف من الزنزانة.  
خرجت إيلاف وبدأت تقرب من هاك  
الحوتة الصغيرة ونحات الشكارة البلاستيك  
من فمها. رجعت هاك الحويطة تتنفس  
وحضنت أمها وبوها اللاي فرحو برشا.  
وقتها صدق الملك اللاي إيلاف على حق  
واللي هي بريئة وقال "مدام انت كنت  
بريئة ونيتك صافية أحنا رانا باش نوسموك  
ونردوك حارسة سبخة السيجومي".





من ملك سبخة السيجومي إلى سكان الأحياء المجاورة:

نهار بعد نهار شعبي قاعد يموت وينقص من جرة الفضلات اللي طيشو فيها ليل مع نهار ومدة السنين هادي الكل، لا عاد فما نحام وردي كي قبل ولا عاد فما حيوانات. لا خليتو فضلات لا وسخ لا بلاستيك ولا قتل لشعبي اللي تبيعوا وتاكلو فيه. ترضوا رواحكم تعيشو في دار ملوثة وريحتها مش باهية؟ بالطبيعة لا. كيما انتوما ما تنجموش تعيشو في بلاصة مسخة راهو احنا زادا مانجموش نعيشو في سبخة مسخة. قلة الوعي متاعكم قاعدة تقتل فينا. يعيشكم صلحو غلطتكم راهو الزمن مش في صالحنا، وكل ما تتأخرو، كل ما زادت المخاطر على صحتكم وعلى سبختنا وعلى البيئة. إذا استمر التلوث، مش باش تكون فما فرصة انو نرجعو للماضي. الطبيعة الأم بدأت تتألم، وإذا استمر هذا الإهمال من طرفكم، راهي مش بش تسامحكم. قبل فوات الاوان، نظفوا السبخة انتوما والعائلات والجيران والبلدية والمجتمع المحلي وانا نعرف اللي اهل الخير مازالو موجودين وخايفين علينا.

بعد ماقرات ايلاف الرسالة حست بالمسؤولية اما زادة كانت مصممة انها بش تعاون باللي تقدر وتكون قد المسؤولية. لبس الملك ايلاف تاج من لؤلؤ. وقالها "توا أرجع لداركم، أمك وبوك راهم متحيرين عليك".

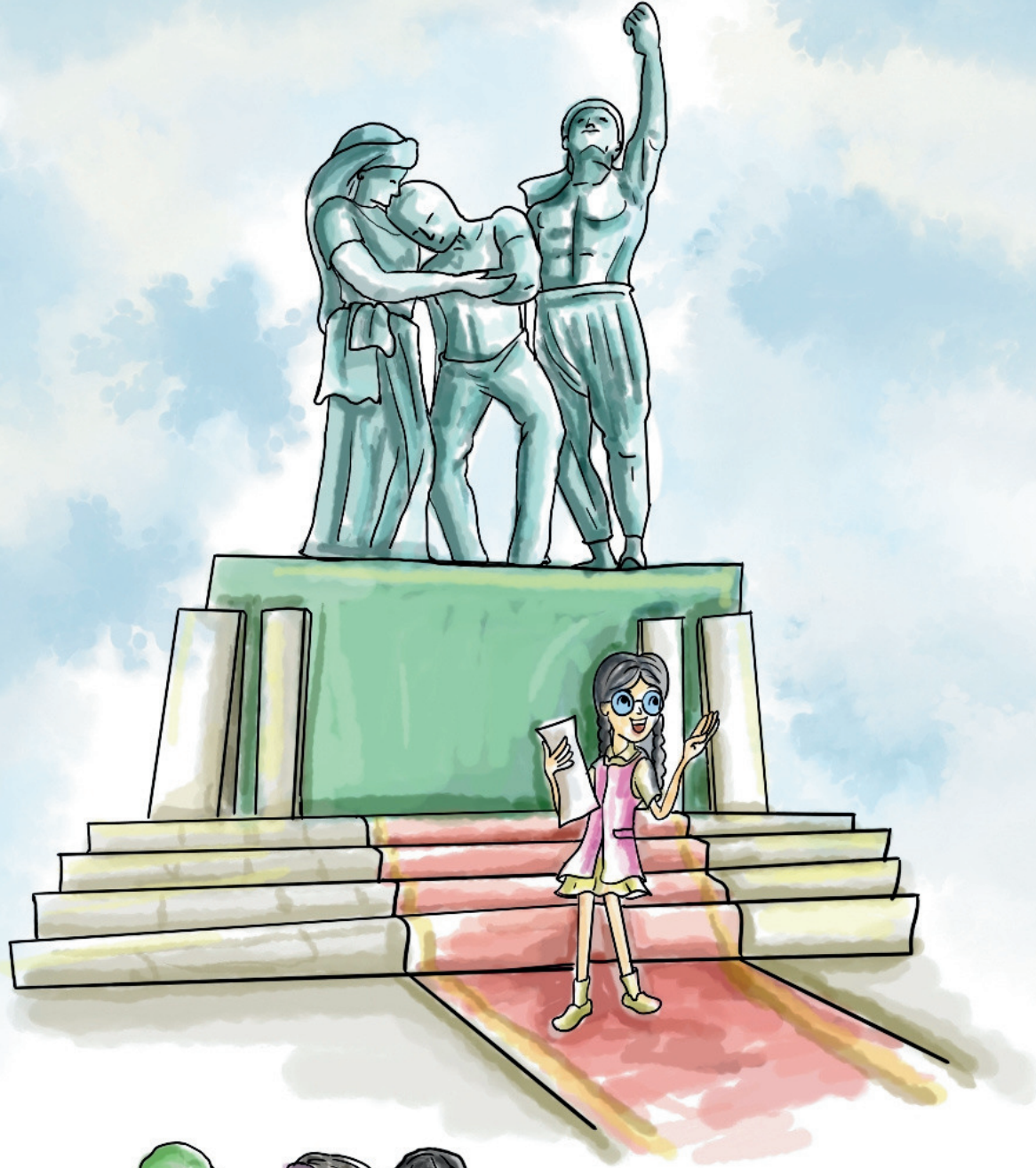
خرجت ايلاف وركبت على ظهر النحام الوردي اللي عندو ريش وردي ناعم، ممزوج بألوان دافئة من الأبيض والوردي وطار بها للشط ورجعها بالضبط منين دخلت. وفي ثنية المرواح كانت ايلاف تتفرج في السبخة من فوق واللي ظهرت لها كبيرة برشا مش كيما كانت متخيلتها وكان الماء يلمع ويلق خاطر الشميسة ساطعة فيها وكانت تتخيل في السبخة نظيفة وفيها برشا حيوانات وداير بيها الخضار.





هكا إيلاف رجعت إلى هيئتها الطبيعية كبشر. لبست كرتيلتها وكأنه ماصار شي ورجعت لدارهم في الوقت المناسب وحكات لأمها وأبوها الحكاية الكل واللي كانت تشبه للخيال.

ومن غدوة، هزت إيلاف الرسالة ومشات إلى منطقة يقولوها ولاد الحومة "الشارة" تجمعوا فيها جميع السكان. وبدأت إيلاف تخاطب في الناس الي تسمع فيها بكل عزيمة ومسؤولية وكانت نبرتها أكبر من عمرها على خاطرها شافت بعينها شنوا صار في الكائنات التي تعيش في السبخة ووصات المتساكنين الكل باش معادش يصبو الوسخ في السبخة وطلبت من ممثلي البلدية أنهم يلقاو حل للصرف الصحي الي يصب في السبخة وحملت زادا المسؤولية للجمعيات الي لاهية بالبيئة باش تعمل حملات توعوية على مخاطر التلوث واضرارها على الكائنات الي تعيش في السبخة وعلى الناس اللي تسكن بحذاها... وكانوا الناس باهتين في إيلاف وفي نفس الوقت مقتنعين بكلامها يشوفوا فيها بنية صغيرة فيقتهم على أخطائهم.



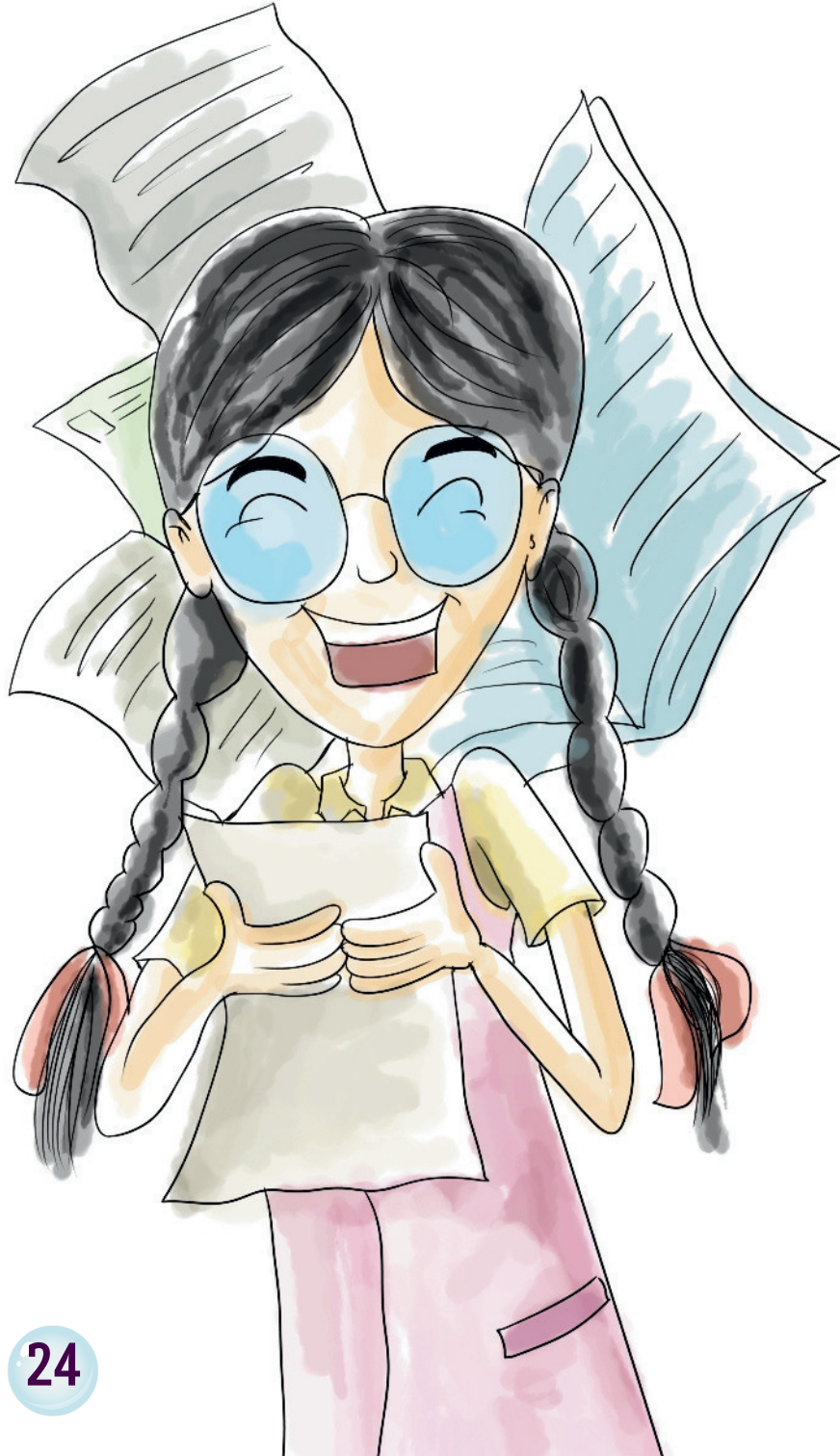


ومنهم هاك الملك، هناك الالي وسم إيلاف. شكرها وشكر أهلها  
وامليها وكل المتساكنين وكيف خرج مع الحاشية متاعو وقابل  
الناس قاللهم الي السبخة مكسب ليهم الكل وكان بقات مسخة  
كيما كانت، الإنسان باش تصيبو برشا أمراض ومنين كانت السبخة  
نعمة باش تتحول لنقمة على خاطر الروايح الي تخرج منها  
والحشرات قادرين انهم يقتلوا العبد وهذا مضرة كبيرة لمتساكنين  
الأحياء الي دايرة بالسبخة. على هذاكا قاللهم الملك بلي يلزم  
يحافظوا على النظافة الدورية للسبخة وأهم شي يعرفوا قيمة  
الكنز لي عندهم.

ومن غدوة تجمعت الناس من كل الأحياء:  
حي هلال، السيدة، سيدي حسين،  
السيجومي.... الكل اجتمعوا بش ينظفوا  
السبخة من الأوساخ وما خلوا فيها لو كان يبدى  
كاغت مطيش. وحتى من البلدية وكبارات  
البلاد سمعو وجاو باش يساهمو في التنظيف.  
هما هكاك ومزالوا واقفين على طرف  
السبخة، ويشوفوا في بلاد قاعدة تطلع في  
وسط السبخة، مملكة بقصوراتها وفيها حيوانات  
تشبه للناس، فيها حوت وفيها بط ولكن  
يتكلموا.







وفي النهاية، إيلاف اختارت انها تكتب القصة اللي عاشتها وتحكيها لأصحابها كبحت بطريقة مختلفة. ووقت اللي قدمت إيلاف القصة قدام أنيستها، صفقوا عليها صاحبها. واختاروها بش تكون قدوة يتعلموا منها كيفية المحافظة على البيئة والمحيط وخاصة سبخة السيجومي. وتكرمت إيلاف في مدرستها على هذا العمل الجبار وعلى روح المسؤولية والقيادة اللي عندها وولى عندها برشا صاحب وولات إيلاف تلقب بحارسة السبخة. وقررت إدارة المدرسة انو تعمل ركن "قصة نجاح" تحفز فيها التلامذة الي كيف إيلاف باش يشاركوا قصص نجاحهم مع أصدقائهم ويكون مثال حسن وقدوة صالحة .

وهكا كملت الحكاية. وطابا طابا، وان شاء الله كل عام تجينا صابا.